

أنا وأنت على الطريق

فتاة يمنية عروسا في الثانية عشرة

سيدتي ، قالت جماعة يمنية لحقوق الإنسان ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) إن طفلة يمنية تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما توفيت بعد ثلاثة أيام من زواجها من رجل ضعف عمرها من جراء نزيف حاد بعد الدخول بها. وتأتي وفاة الطفلة وسط نقاش دائر بشأن وضع حد أدنى لزواج النساء في اليمن ومنطقة الخليج عموماً. حيث تقول جماعات لحقوق الإنسان إن هناك واحدة من كل ثلاث فتيات تتزوج قبل سن الثامنة عشرة. وقالت منظمة منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان إن إلهام مهدي شوعي توفيت في غرب اليمن في شهر نيسان أبريل، وإن إلهام هي شهيدة العتب بأرواح الأطفال في اليمن ونموذج صارخ لما يشرعه دعاة عدم تحديد سن الزواج.

وتزوجت الطفلة إلهام زواج البذل أو ما يُطلق عليه اسم الشغار. حيث تمّ تزويجها لعريسها البالغ من العمر نحو ثماني وعشرين عاماً، بينما تزوج شقيقها من أخت زوجها. وقد أسعفت إلهام شوعي إلى مستشفى "الثورة" بحجة، حيث توفيت هناك.

وقالت (سيجرد كاج) المديرية الإقليمية لمكتب اليونيسيف بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا في شأن الفتاة المتوفاة من جراء زواجها المبكر جداً، بأنّ اليونيسيف تعبر عن صدمتها لوفاة طفلة عروس أخرى في اليمن. ويدور جدل كبير في اليمن حالياً حول مشروع قانون يحدد سن الزواج بسبعة عشر عاماً. لكن بعض الفقهاء يقاومون بشدة ويحاولون إعاقة ذلك. وشهدت صنعاء مؤخراً مظاهرات مؤيدة وأخرى معارضة لمشروع القانون الذي يحاول الحد من زواج الفتيات المنتشر بكثرة في البلاد. وطالبت أسرة إلهام بإعدام زوج ابنتهم الذي تعامل معها بعنف متسبباً لها في نزيف أدى إلى وفاتها. ومازالت عائلة إلهام ترفض استلام جثتها من المستشفى في مدينة حجة.

إن المنطق والعدل يستوجبان محاكمة الأب والعريس ورجل الدين الذي عقد القران ومحاكمتهم بجريمة قتل من الدرجة الأولى. هذا ما صرّح به أحد الكتاب معلقاً على مقتل الطفلة اليمنية إلهام البالغة من العمر اثنتي عشرة سنة. وقال أيضاً: إن هذه الطفلة هي ضحية الجهل والغباء. إنها جريمة تزويج الأطفال واغتصابهن والاعتداء على براءتهن باسم الحلال. مأساة يساهم رجال

الدين في صنعها وشرعتها ممّا يستوجب إحالة كل رجل دين يفتي بصحتها إلى المحكمة ليلقى القصاص العادل. كيف يمكن لرجل مكتمل العقل والرجولة أن يغتصب طفلة باسم الزواج. وكيف يمكن لطفلة لم يكتمل تكوينها الفيزيولوجي والعقلي من تحمل شبق

وعدوانية رجل بعمر أبيها؟ وأي أب عاقل يسمح بتسليم فلذة كبده إلى ذئب بشري يقتلها؟ المجرمون هم المهووسون بالجنس وباغتصاب الأطفال الذين يعتبرون موافقة الولي كافية لتنفيذ الجريمة وللفتك بالضحية.

إزاء هذه المشكلة ما هو رأيك يا سيدتي الأم؟ سيدتي الأخت؟ سيدتي الفتاة؟ نعم ما هو رأيك بما حصل لهذه الطفلة الصغيرة؟ وكيف يفرط الأهل بفتياتهم الصغيرات اللاتي مازلن في عمر الأطفال حتى إن بعضهن لم يبلغن بعد؟ ما هو السبب الذي يجعل الأهل يسلمون بناتهم الصغيرات إلى يد الرجال؟ أهو المال الذي يحصلون عليه من وراء صفقة كهذه؟ أم إنه الفقر المدقع الذي يرزحون تحته؟ وهكذا فإنهم يريدون التخلص من مصروف البنات وسترهن على حد زعمهم. هل المال هو أعلى من النفوس يا سيدتي؟ بالطبع لا. فالنفس لا تعوض والفتاة الصغيرة لن تعود.

كم نحن في الكثير من دولنا العربية بحاجة إلى تغيير في طريقة تفكيرنا عن الزواج وبناء الأسرة. فالأسرة لا تكون إلا بتوافق بين العريسين. والتوافق أولاً يعني التناسب في الأعمار والانسجام بين الشاب والفتاة نفسياً وفكرياً وجسدياً. وهذا ما سنه الله في شريعته المقدسة منذ يوم خلق الإنسان الأول آدم. هذا ما يعلمنا به الكتاب المقدس الذي كتب بوحي من روح الله . يعلمنا أن الله الخالق العظيم فكر بأنه ليس جيد أن يبقى آدم وحده فصنع له معينا نظير آدم. فهل الفتاة الطفلة هي نظيرة للرجل الذي هو في عمر والدها؟ هل الفتاة الطفلة هي مساوية ومثيلة للرجل الذي ستتزوجها؟ هل نضج جسمها وعقلها ؟ وهل اكتملت أنوثتها فغدت بالحق صالحة للزواج ولبناء أسرة؟ أين التوافق في الزواج من طفلة؟

إن كل هذه الممارسات خاطئة يا سيدتي ولا تأتي إلا بالوبال على الأهل والعائلة. فلماذا يعارض البعض حتى الآن رفع معدل عمر الفتاة إلى السابعة عشرة؟ ولماذا يسن المجتمع مثل هذه القوانين ويلصقها بالدين والله منها براء؟ لقد صنع حواء لآدم وأتى بها إليه فقال آدم: هذه لحم من لحمي وعظم من عظمي هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت. حواء امرأة مكتملة النضوج والبلوغ وليست طفلة بحاجة إلى من يرعاها ويعتني بها. فما أحرانا جميعاً أن نعود إلى تعليم الكتاب المقدس الصحيح لنتوب عن أفعالنا هذه.
